

أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا: دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار

إعداد وتقديم
د. محمد مي أبو بكر
رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
بجامعة ميدغري،
ميدغري، ولاية برنو
نيجيريا

أرقام الهاتف: +234 802 881 3194
+234 803 929 4911

عنوان البريد الإلكتروني: mmabubakar66@yahoo.com

ورقة مقدمة في المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية المنعقد خلال الفترة من 7-10 مايو
2014 الموافق 8 - 11 رجب 1435هـ
بمدينة دبي، الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم
أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا: دراسة مسحية نحو اكتشاف آفاق جديدة
للاستثمار

ملخص البحث

يعد شمالي نيجيريا من أقدم البقاع التي بدأت تتلقى موجات الثقافة العربية الإسلامية في جنوبي الصحراء، وغربيها، أو فيما اصطلح عليه المؤرخون ببلاد السودان الأوسط، منذ قرون بعيدة. ويمتد اتصال هذه المنطقة بالإسلام والثقافة العربية، إلى ما يقارب ألف عام، على حسب ما تقيده المصادر والشواهد التاريخية.

وقد نتج عن هذا الاتصال الباكر بالإسلام والثقافة العربية أن أصبح للثقافة العربية أثر بارز في حياة شعوب هذه المنطقة من حيث اللغة والتقاليد والفنون والآداب وما إلى ذلك. كما أمسكت هذه الثقافة جزءاً لا يتجزأ عن حياة هذه الشعوب وكيانها وهويتها المميزة لها. تهدف هذه الدراسة إلى إجراء مسح سريع حول أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا واستجلاء النواحي التي يبرز فيها هذا التأثير، ورصد المشكلات والتحديات التي تعرقل انتشار هذه الثقافة وتقدمها في المنطقة في الوقت الراهن، مع اقتراح حلول مناسبة لها.

المقدمة

إن الثقافة العربية أصبحت ظاهرة بارزة في كل بقاع العالم التي حل بها الإسلام، لاسيما المناطق التي يلاحظ فيها الوجود الإسلامي بصورة مكثفة. فشمالي نيجيريا الذي كان جزءاً للعالم الإسلامي منذ العصور الوسطى، أو القرن الحادي عشر الميلادي على وجه التحديد، على حسب ما تقيده المصادر التاريخية المحلية، يتميز بكونه منطقة تتمتع بانتشار الثقافة العربية وتقدمها وانصهارها في ثقافات الشعوب التي تعيش في الأراضي الشاسعة لهذه المنطقة. فملاح هذه الثقافة غدت صبغة بارزة في لغات، وتقاليد وآداب، وفنون شعوب المنطقة. وإنه من الصعوبة إن لم يكن من المستحيل الآن، الفصل بين ما هو ثقافة عربية وما هو ثقافة محلية لهذه الشعوب لشدة ما يلاحظ من تزاوج بين الثقافتين والرسوخ آثار الثقافة العربية في الثقافات المحلية لهذه الشعوب.

هذه الدراسة هي عبارة عن مسح سريع حول أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا بغية استجلاء أهم مظاهر التأثير بهذه الثقافة لدى شعوب هذه المنطقة، ورصداً لمشكلات والتحديات التي تقف في طريق انتشار هذه الثقافة وتقدمها في المنطقة في الوقت الراهن، مع اقتراح حلول مناسبة لها. وعلماً بسعة أفق هذا الموضوع وتشعبه، فإن الدراسة تتخذ مساراً مسيحياً حتى يتسنى لنا وضع لمسات على أهم النقاط التي تخص الموضوع في حدود هذه الصفحات القليلة.

شمالي نيجيريا من حيث الموقع الجغرافي والسكان:

تشكل نيجيريا إحدى الدول الكبرى في بلاد غربي أفريقيا، كما تمثل أعظم دولة من حيث الكثافة السكانية والثروات الطبيعية في القارة الإفريقية. يمتد حدود إقليمها الشمالي شرقاً إلى بحيرة تشاد وجمهورية الكمرون وشمالاً إلى جمهورية النيجر، وغرباً إلى جمهورية بنين، ويضم أراضي هذه المنطقة حوالي 255,000 ميلاً (أي 410,000 كيلومتراً)⁽¹⁾، وذلك ما يعادل حوالي 62% من الكتلة الأرضية للبلاد⁽²⁾.

ويحوي شمالي نيجيريا 19 ولاية من ولايات نيجيريا الست والثلاثين، بما في ذلك عاصمة الدولة أبوجا Abuja. وهي ولايات برنو Borno، ويوبى Yobe، وكنو Kano، وكدونا Kaduna، وجغاوا Jigawa، وبوتشي Bauchi، وأدماوا Adamawa، وتارابا Taraba، وكتسينا Katsina، وسكوتو Sokoto، وكبي Kebbi، وبلاتو Plateau، وزمفرا

Zamfara، ونيجر Niger، وبنوي Benue، وكوغي Kogi، ونصراوا Nasarawa، وغمبي Gombe، وكوارا Kwara .

وعلى حسب ما تفيده نتائج التعداد السكاني الذي أجري في العام 2006 أن مجموع سكان نيجيريا آنذاك هو حوالي 140,003,542 نسمة، وأن شمالي البلاد يضم من ذلك 53,72%⁽³⁾، وذلك على اختلاف في الآراء والمواقف بين النيجيريين حول نتائج هذا التعداد. وعلى الرغم من عدم إفادة هذا التعداد نسبة المسلمين والمسيحيين وأصحاب الديانات الأخرى في البلاد، يبدو أن المسلمين يشكلون الأغلبية من سكان شمالي نيجيريا بينما المسيحيون يشكلون الأغلبية من سكان جنوبي البلاد.

ويعيش في المنطقة شعوب عديدة تتكون من قبائل ومجموعات مختلفة منها الهوسا Hausa، والفلانين Fulani، والكانوري Kanuri، كما منها النوبي Nupe، والتيفي Tiv، وغيرها. لكن المجموعات الثلاث الأولى تشكل أهم شعوب المنطقة، كما تكون أهم الشعوب بالنسبة لهذه الدراسة لاتصالها القديم بالإسلام والثقافة العربية.

اتصال المنطقة بالثقافة العربية:

إن تاريخ اتصال شمالي نيجيريا بالثقافة هو في الحقيقة تاريخ الوجود الإسلامي في المنطقة، إذ يلاحظ بعض الدارسين والباحثين أن انتشار الإسلام في أفريقيا هو انتشار لظواهر ثلاث، وهي "انتشار الثقافة العربية الإسلامية وانتشار الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية، وانتشار اللغة العربية..."⁽⁴⁾.

فهذا يعني أنه لا يمكن الحديث عن تاريخ انتشار الثقافة العربية في هذه المنطقة بمعزل عن تاريخ الإسلام وانتشاره فيها، إذ أن هذه الثقافة تكوّن جزءاً لا يتجزأ عن الإسلام وأنها من مكوناته الأساسية. فعلى هذا يقدر أن تاريخ اتصال المنطقة بالثقافة العربية هو في الوقت نفسه تاريخ الوجود الإسلامي في المنطقة.

وفيما يخص وصول الإسلام إلى المنطقة فإن المصادر التاريخية المحلية تفيد أن الوجود الإسلامي في المستوى الرسمي أو الحكومي بدأ يلاحظ فيما بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين. وذلك إشارة إلى ظهوره أولاً في مملكة كانم-برنو التي كانت قد قامت في شمال شرقي بحيرة تشاد في جمهورية تشاد الحالية وامتدت إلى غربي البحيرة في ولاية برنو النيجيرية الحالية، في عهد السلطان حومي جلمي Hume Jilme، الملك الثاني عشر من سلالة ملوكها السيفيين⁽⁵⁾. وهو الذي حكم فيما بين الفترة من عام 1085 إلى عام 1097م، والذي أعلن إسلامه، واتخذة ديناً رسمياً للدولة بجهود الداعية الإسلامية الشيخ محمد بن ماني العالم الزائر من منطقة فزان⁽⁶⁾.

وذلك إشارة أيضاً إلى ظهور الإسلام في بلاد الهوسا التي تقع في الشمال الأوسط والشمال الغربي لنيجيريا في عهد السلطان علي ياجي Aliyu Yaji ملك ولاية كنو الذي حكم فيما بين الفترة من عام 1349 إلى عام 1385م، والذي قام بجهود كبير في نشره بعد إسلامه في عهده⁽⁷⁾.

فهذه الروايات كلها تشير إلى الاعتراف الرسمي بالإسلام من قبل الدولة في كل من مملكة كانم-برنو، وبلاد الهوسا التي تمثلها ولاية كنو في تلك الفترة. لكن الظاهر أن هناك شواهد تاريخية تدل على أن الإسلام قد شق طريقه إلى كل من هاتين المنطقتين بفترات طويلة بواسطة التجار والعلماء الزوار قبل أن يحظى بالاعتراف الرسمي من قبل الدولة. فباعتبار ما تفيده المصادر التاريخية من أن هناك علاقات تجارية قائمة تاريخياً بين بلاد كانم - برنو وبلاد الهوسا في طرف، وبين بلاد شمالي أفريقيا وبعض البلاد العربية كتونس والجزائر والمغرب وليبيا، ومصر، في طرف آخر، يمكننا القول بأنه من المحتمل جداً أن يكون الإسلام قد وجد طريقه إلى بلاد شمالي نيجيريا في وقت مبكر بواسطة التجار والعلماء الزوار وأخذ ينتشر بنطاق واسع في مستوى أفراد وشعوب المنطقة قبل أن يحظى بالاعتراف الرسمي من قبل السلاطين والملوك⁽⁸⁾.

وفيما يتصل بانتشار الثقافة العربية في المنطقة أن ذلك كما ذكرنا مسبقاً لم يكن منفصلاً عن انتشار الدين الإسلامي في المنطقة. فيقدر أن الفترة التاريخية التي بدأ فيها بلاد شمال نيجيريا تتلقى موجات الدين الإسلامي هي بالضبط الفترة التي شهدت بداية الثقافة العربية بما فيها اللغة العربية والتعليم العربي وما إلى ذلك في المنطقة. فالثقافة العربية كانت – ولا تزال – ترافق الدين الإسلامي حيثما توجه. فاللغة العربية وما يتصل بها من المجالات المعرفية هي الوسيلة إلى فهم رسالة الإسلام والقيام بتعاليمه، وعلى ذلك يقول المؤرخ البريطاني ج.س. ترمينغهام معلقاً على هذه الظاهرة:

"إن الجانب الجدير بالاهتمام في انتشار الإسلام هو العلاقة بين العوامل اللغوية والعوامل الدينية، إذ أن انتشاره في أي مكان كان مصحوباً بتلقي المفردات العربية"⁽⁹⁾.

فقد انتشرت الثقافة العربية بما فيها اللغة العربية والتعليم العربي، وازدهرت ازدهاراً واسعاً في بلاد نيجيريا، لاسيما إقليمها الشمالي عبر العصور بجانب الدين الإسلامي حيث اتخذت العربية لغة رسمية للدولة في مملكة كانم – برنو، وولايات الهوسا، وفي عهد الخلافة الإسلامية بسكوتو. فكانت تصدر بها المراسيم وتجري المراسلات والمكاتبات في الشؤون الداخلية أو العلاقات الخارجية وبها يدون التاريخ والقرارات السياسية والإدارية والقضائية، كما تبرم بها العقود التجارية وغير ذلك. هذا إلى جانب استعمالها لغة للشعائر الدينية، ونشر التعليم وتأليف الكتب ونظم القصائد الشعرية.

وهكذا ظلت اللغة العربية، والتعليم العربي والثقافة العربية بصفة عامة تتمتع بمكانة عالية ونفوذ قوي في شمالي نيجيريا عبر العصور والقرون حتى مطلع القرن العشرين حين ظهر الاستعمار البريطاني على أراضيها وقام بتقليص نفوذها وعزلها عن الساحة السياسية والإدارية واستبدالها باللغة الإنجليزية.

لكنه على الرغم من تقليص نفوذ اللغة العربية وتراجع الثقافة العربية في المنطقة خلال فترة الاستعمار التي امتدت نحو 60 عاماً فإن ذلك لم يكن ليقضي على هذه اللغة وهذه الثقافة بصورة كلية فسرعان ما عاد إلى اللغة العربية والثقافة العربية بصفة عامة مكانتها بعد رحيل المستعمرين واستقلال البلاد. ولقد تطوّرت الثقافة العربية وانتشرت بصورة ملحوظة في عهد ما بعد الاستقلال في شمالي نيجيريا، وغدت تحتل مكانة عالية لدى شعوب المنطقة حتى أخذت تتنافس الثقافة الغربية التي نشرها الاستعمار وتزاحمها في المنطقة.

أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا:

يقطن شمالي نيجيريا في الوقت الراهن شعوب عديدة تتباين في عاداتها وتقاليدها ودياناتها، لكن أهم شعوب المنطقة التي يبدو عليها أثر الثقافة العربية بصورة واضحة إلى جانب نفوذها في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي هي الهوسا والفولاني والكانوري. فلهذه الشعوب الثلاثة مكانة عالية في شمالي نيجيريا كما كان لها تاريخ عريق في المنطقة. ولقد تأثرت هذه الشعوب الثلاثة بالثقافة العربية بصورة راسخة حتى غدت الثقافة العربية تمثل جزءاً من هويتها وكيانها وصورة حياتها، وأنها تبدو صبغة بارزة في عاداتها وتقاليدها. ولعل أجلى النواحي التي يبدو فيها أثر الثقافة العربية في هذه الشعوب يتمثل فيما يلي:

1- اللغة والتقاليد:

فما لا يقبل الشك أن لغات هذه الشعوب الثلاثة بل وغيرها من شعوب المنطقة قد تأثرت إلى حد بعيد باللغة العربية، وإن مفردات اللغة العربية وألفاظها تبدو بنسبة عالية في مفردات هذه اللغات. ولقد عالج الدكتور علي أبو بكر الموضوع في كتابه "الثقافة العربية في نيجيريا" وذكر أن كلاً من لغة الهوسا ولغة الفولاني قد استعار ما لا يقل عن خمس مفرداتها من اللغة العربية⁽¹⁰⁾. ورغم أنه لم يتناول اللغة الكانورية في دراسته هذه، إلا أنه يبدو أن الكانورية لا تقل عن اللغتين الأخرين – إن لم تفقهما – في هذا المجال، إذ هي الأخرى قد أخذت عدداً هائلاً من مفرداتها من العربية.

فكلمات نحو: أَدْنُ، لَيْرَا، كِتَاوُ، لَوْرَ، أَلْرَمُ، قُمَاجِي، في اللغة الكانورية مأخوذة من كلمات: الدَّيْنِ، الآخِرَةِ، الكِتَابِ، الإِبْرَةِ، القَلَمِ، قَمَاشِ العَرَبِيَّةِ عَلى التَّوَالِي. وكذلك كلمات نحو: لَتَّافِي، دَرَسِي، حَوْفِ، لِنَزَامِ، سِرْدِ، مَالْمِ، في اللغة الهوساوية مأخوذة من كلمات: كِتَابِ، دَرَسِ، حَوْفِ، لَجَامِ، سَرَجِ، مَعْلَمِ العَرَبِيَّةِ عَلى التَّوَالِي. كما أن كلمات نحو: مُودِيُو، أَنْبِيْجُو، الْقَالِي، أَلْكَمَارِي، بِنْدِقَارُ، شِيهُو، في اللغة الفولانية مأخوذة من كلمات: مؤدب، النبي، القاضي، القمح، بندقية، شيخ، العربية على التوالي⁽¹¹⁾. فهذه أمثلة قليلة لمات من الألفاظ والمفردات التي استعارتها هذه اللغات من العربية وأصبحت جزءاً من مفرداتها.

وفي جانب التقاليد، وخاصة فيما يتصل بالتسمية، نجد أن كثيراً من الأسماء المستعملة لدى هذه الشعوب في تسمية أولادهم مأخوذ من أسماء عربية إسلامية، وإن طرأ على بعضها تحريفات بسيطة، فمن ذلك أسماء نحو: مُودُ، عَرِي، أَيَسَا، يُورَامُ، أُبُورُ، دَلَا، لدى الكانوري فهي أسماء محرفة عن أصولها العربية وهي: محمد، علي، عائشة، إبراهيم، أبو بكر، عبد الله على التوالي.

ومن ذلك أيضاً أسماء نحو: مَانُو، مَمَّنْ، حَلْرُ، دَوْدَا، سُلِي، إِيْدِي وغيرها لدى الهوسا فهي كذلك مأخوذة ومحرفة عن أصولها العربية: عثمان، محمد، خضر، داود، سليمان، إدريس على التوالي.

كما أن أسماء نحو: بُوبَا، يُورَا، حَمَّنْ، أَلْفَا، جِبِرُ لدى الفولانيين مأخوذة ومحرفة عن أصولها العربية: أبو بكر، إبراهيم، محمد، خليفة، جبريل على التوالي⁽¹²⁾. فمع أن سمات التحريف تبدو على هذه الألفاظ والأسماء المستعارة أن ملامح أصولها العربية لا تزال باقية عليها.

ثم إنه من الملاحظ أن أثر الثقافة العربية في شعوب هذه المنطقة لا تتوقف عند حد اللغة والتقاليد في التسمية وغير ذلك لدى المسلمين فحسب، بل يمتد إلى مجموعات أخرى. فمن ذلك جريان ألفاظ عربية إسلامية على ألسنة أفراد وجماعات ليس لها علاقة مباشرة بالثقافة العربية، ومعظم هؤلاء يتواجدون في بعض القبائل التي لا تدين بالإسلام أو فيها نسبة قليلة من المسلمين. فاستعمالهم لألفاظ عربية إسلامية جاء نتيجة لمعاشرتهم المسلمين ومجاورتهم إياهم. فنجد كثيراً من الألفاظ العربية الإسلامية نحو: "السلام عليكم" و"الحمد لله"، ولفظ الجلالة "الله" عند الحلف أو القسم، ولفظ "الله أكبر" و"سبحان الله" و"الدعاء" و"الصدقة" وغير ذلك من الألفاظ العربية الإسلامية تجري على ألسنة المسيحيين الذين يعيشون في أوساط المسلمين في المنطقة. وعلاوة على ذلك نجد كثيراً ما يتسمى بعضهم بأسماء عربية إسلامية مع كونهم من المسيحيين. فنجد على سبيل المثال أسماء مركبة نحو: جون محمد، وجنسون أحد، وماثيو حسن وغير ذلك، وهي تحوي أسماء عربية إسلامية.

فهذه كلها إشارات واضحة إلى مدى تأثير الثقافة العربية ورسوخها في تقاليد شعوب شمالي نيجيريا، وإن آثار هذه الثقافة أخذت تمتد وتتسرب إلى أوساط غير المسلمين من شعوب المنطقة بسبب المعاشرة والمجاورة.

2- مجال التعليم العربية:

ولعل من أجلى النواحي التي يبرز فيها أثر الثقافة العربية في شمالي نيجيريا التعليم العربي. فالتعليم العربي وما يحويه من مجالاً معرفية لدى أصول ثابتة وتاريخ عريق في هذه المنطقة، إذ أن تعليم اللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية الإسلامية كان - ولا يزال - يشكل جزءاً أساسياً من النشاط التعليمي والثقافي لدى شعوب هذه المنطقة.

فقد انتشر في كل من بلاد كانم- برنو، وبلاد الهوسا، عبر العصور والقرون مدارس وكتاتيب قرآنية، ومعاهد تقليدية لنشر العلوم الإسلامية قبل ظهور الاستعمار الغربي في المنطقة. ثم ظهرت المدارس الإسلامية الحديثة، على غرار المدارس الغربية التي انتشر في البلاد بعد مجيء المستعمرين، وكذلك الكليات والجامعات وأخذت كل منها تساهم إلى حد بعيد في نشر

الثقافة العربية في المنطقة بصورة ملحوظة. فقد خرج هذه المدارس والكليات والجامعات، وأخذ كل منها تساهم إلى حد بعيد في نشر الثقافة العربية في المنطقة بصورة ملحوظة. فقد خرّجت هذه المدارس والكليات والجامعات عدداً لا يعد ولا يحصى من التلاميذ والطلاب في مجال التعليم العربي، ونتج عن كل ذلك كثرة عدد المثقفين بالثقافة العربية بواسطة النظام التعليمي الحديث، بما في ذلك حاملي الشهادات والدرجات العلمية العليا، إضافة إلى الأعداد الكبيرة للمثقفين بهذه الثقافة بواسطة النظام التعليمي التقليدي القديم الذي شاع في المنطقة قبل مجيء المستعمرين.

3- التأليف والنظم والترجمة:

ومن مظاهر تأثير الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا استعمال اللغة العربية من قبل العلماء والأدباء والمثقفين بالثقافة العربية في مجال التأليف والنظم. وقد كان لهذا النشاط تاريخ طويل، إذ تفيد شواهد تاريخية أن مثلاً لعلماء منطقة كانم- برنو وأدبائها نصيباً كبيراً في تأليف الكتب وإنشاء الرسائل ونظم القصائد الشعرية باللغة العربية، كما كان لأقرانهم في بلاد الهوسا وخاصة بعد قيام الدولة الإسلامية بسكوتو دور كبير في هذا المجال. وظل هذا النشاط قائماً إلى يومنا هذا. فنجد العلماء والأدباء في المعاهد الدينية التقليدية مع أقرانهم المعلمين في المدارس والأساتذة في الكليات والجامعات ينتجون أعمالاً تأليفية وأثراً أدبية قيمة باللغة العربية، تتناول شتى المجالات الحياتية بما في ذلك الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك.

وينضاف إلى هذا النشاط ما تعرف بالترجمة التقليدية المحلية أو تَرْجُمو Tarjumo (لدى الكانوري) أو عجي Ajami (لدى الهوسا والفلولاني). وهي عبارة عن استخدام الحروف العربية في وضع الحواشي باللغة المحلية على نصوص عربية إسلامية بغية الشرح والتوضيح أو وضع مؤلفات باللغات المحلية باستعمال الحروف العربية. وهذه ظاهرة تأليفية وأدبية شائعة ومعروفة لدى معظم شعوب شمالي نيجيريا، لاسيما شعوب الكانوري والهوسا والفلولاني، إذ أن لكل منها أعمالاً تمثل هذا النوع من النشاط التألفي منذ القدم إلى الحاضر⁽¹³⁾. وقد نتج عن هذا النشاط مثلاً ترجمات للقرآن الكريم باللغات الكانورية والهوساوية والفلولانية، كما أنج العلماء والأدباء أعلاماً تأليفية وأدبية كثيرة بواسطة هذه الطريقة.

4- مجال الرسم والكتابة بالحروف العربية:

ومن مظاهر تأثير الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا استعمال الحروف العربية في مجال الرسم والكتابة الزخرفية، ويظهر ذلك في عدة أشكال. فمن ذلك ما يتمثل في صور فن الزخرفة والديكور حيث تستخدم الخطوط العربية التي تحمل آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو آثار لأدباء أو حكماء، كأدوات للزينة والديكور تعلق في الدور والمساجد والمكاتب، أو تكتب على جدران المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد التعليمية. وقد تتخذ هذه الطريقة في شكل ملصقات أو شارات تحمل آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أقوال مأثورة تلتصق على سيارات أو دراجات أو جدران أو أبواب. وهذه الخطوط والرسوم غالباً تكون في صورة أدوات بلاستيكية أو خشبية أو حديدية، وبعضها قد يكون مستورداً من البلاد العربية كما يكون بعضها مصنوعاً محلياً داخل البلاد. فمن النماذج الشائعة لهذه الخطوط (آية الكرسي) والآية "حسبنا الله ونعم الوكيل" ولفظ "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ولفظ "توكلت على الله" وكلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وقوله (ص): "رأس الحكمة مخافة الله" والقول المأثور: "من جدّ وجد" وغير ذلك من الألفاظ العربية الإسلامية المأثورة. ويندرج تحت هذا ما يلاحظ من كتابة أسماء بعض المدارس والمعاهد والمؤسسات الإسلامية، وأسماء بعض الزعماء والقادة الروحية تحت صورهم بالحروف العربية في مجتمعات شمالي نيجيريا. فيلاحظ مثلاً أن شعارات أو رموزاً تكتب بالحروف العربية على أعلام أو شارات أو لافتات بعض المدارس والمؤسسات التعليمية على نحو ما نجده في شارات بعض

جامعات شمالي نيجيريا مثل شعار: "فوق كل ذي علم عليم" المكتوب على شارة جامعة بايرو بكنو، إضافة إلى كتابة اسم الجامعة بالعربية في الشارة نفسها. وشعار "علمُ تَنُوتو" بمعنى (العمل بالعلم في اللغة الكانورية) المكتوب على شارة جامعة ميدغري، وشعار "اقرأ باسم ربك الذي خلق" المكتوب على شارة جامعة ولاية يوبو.

وتمثل العملة النيجيرية إلى عهد قريب نموذجاً حياً لرسوخ الثقافة العربية في ثقافة شعوب شمالي نيجيريا وتقاليدها، بحيث أن الحروف العربية تستخدم في كتابة بعض وحدات العملة النيجيرية بلغة الهوسا نحو: نَيْرَ طَري (أي مائة نيره) ونير طَري بِيُو (أي مئتا نيره) ونَيْرَ طَري بِيَر (أي خمسمائة نيره) ونَيْرَ دُو (أي ألف نيره)⁽¹⁴⁾.

فهذه كلها إشارات وضيئة تعبّر عن مدى رسوخ الثقافة العربية وأنصهارها في ثقافات شعوب شمالي نيجيريا. وإن مظاهر التأثير المشار إليها أعلاه كلها تكشف أو تقوم بمثابة آفاق جديدة للاستثمار بدراسات وبحوث أوسع من هذا المسح السريع.

تحديات ومشكلات تعرقل تقدّم الثقافة العربية في المنطقة:

يظهر مما تقدم بكل جلاء أن للثقافة العربية جذوراً راسخة وأثراً بارزاً في شعوب شمالي نيجيريا؛ وأن هذه الثقافة تنتشر وتزدهر بصورة ملحوظة في هذه المنطقة؛ وأن لها مستقبلاً باهراً في المنطقة ونيجيريا كدولة بصفة عامة. غير أن هناك بعض التحديات والمشكلات التي تعرقل تقدم هذه الثقافة وتعوق رقيها في المنطقة. ولعل أهمها هي سياسة الدولة التحفظية تجاه الثقافة العربية واللغة العربية بوجه خاص، التي تبدو غير مشجعة وغير مريحة، حيث أن الحكومة تنظر إلى هذه اللغة في المجال السياسي بعين الريب والخوف لصلة هذه اللغة الحميمة بالإسلام. فعلى الرغم من معرفة أهميتها في المجال الثقافي والتجاري والدبلوماسي لعلاقات نيجيريا مع دول عربية كثيرة في هذه المجالات، فإن الحكومة الفدرالية بل حتى حكومات الولايات الشمالية التي يشكل المسلمون الاغلبية من سكانها لا تعترف بهذه اللغة رسمياً. في حين أن الحكومة الفدرالية تعترف رسمياً بأن اللغة الفرنسية هي اللغة الثانية بعد الإنجليزية في المجال السياسي والرسمي لعلاقتها مع جيرانها التي كان معظمها مستعمرات فرنسية.

فعدم الاعتراف الرسمي من قبل الحكومة يعتبر عائقاً كبيراً نحو نمو هذه اللغة وانتشارها بصورة أوسع وأفضل لأنها بهذا الموقف لا يمكن فرض تدريسها في المدارس حتى على أبناء المسلمين، كما لا يستوجب ذلك توفير مناخ مناسب وجو ملائم لنموها ورفيها.

وصحيح أن الحكومة سمحت بتدريسها في المدارس وتعلمها والتخصص فيها في المعاهد العليا، وأنها تعترف بأنها من اللغات العالمية الحية المعترف بها عالمياً والمستعمل في المنظمات والهيئات العالمية كالأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي، وغيرهما، لكن عدم الاعتراف بها كأحدى اللغات الرسمية لدولة فيها نسبة عالية من المواطنين العرب والمتقنين بالثقافة العربية لا يزال عائقاً كبيراً نحو تقدم هذه الثقافة ورفيها في البلاد.

وننتج عن هذه السياسة التحفظية تجاه اللغة العربية، قلة توفير فرص العمل للمتقنين بالثقافة العربية حيث ينتهي معظم المتخصصين في اللغة العربية وآدابها أو في الدراسات الإسلامية في مجال التدريس أو القضاء وما إلى ذلك إن وجدت. فقلّ ما يُروى في المجالات الأخرى التي ينخرط فيها المثقفون بالثقافة العربية. ولعل هذا من أكبر الدوافع إلى ترغيب عدد كبير من طلاب العلم عن دراسة اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية وما يمت إلى ذلك بصلة.

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة القيام بمسح سريع حول أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا، الذي يعتبر من أقدم البقاع الأفريقية التي حظيت بتلقي موجات الثقافة العربية الإسلامية منذ فجر ظهورها على الصعيد الأفريقي. وقد كشفت الدراسة أن لهذه الثقافة جذوراً راسخة وأثراً بارزاً في شعوب المنطقة. وأن ذلك يتمثل في مجالات عدة منها اللغة والتقاليد، والتعليم العربي،

والتأليف والنظم والترجمة، والرسم والكتابة وغير ذلك. كما وقفت الدراسة على بعض التحديات والمشكلات التي تعرقل تقدم هذه الثقافة وريقيها في المنطقة والبلاد النيجيرية بصفة عامة التي منها سياسة الدولة التحفظية تجاه اللغة العربية والتي بدورها تسبب في عدم توفير مناخات مناسبة لنموها وانتشارها بصورة أوسع وأفضل، كما نتج من هذه السياسة قلة توفير فرص العمل للمتقنين بالثقافة العربية والمتخصصين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

وتوصي الدراسة في نهاية المطاف شعوب شمالي نيجيريا، بل شعوبها في جنوبي البلاد كذلك، المهتمة بالثقافة العربية بمواصلة الجهود والكفاح نحو رفع مكانة هذه الثقافة وإعلاء شأن اللغة العربية وأهميتها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً حتى يتم الاعتراف بها رسمياً.

كما توصي الحكومة النيجيرية في المستوى الفدرالي وفي مستوى الولايات أن تعيد النظر في موقفها وسياستها التحفظية تجاه اللغة العربية، لما يترتب على ذلك من فوائد سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية.

وتوصي كذلك حكومات الدول العربية إلى وضع الاهتمام بقضية اللغة العربية ضمن أولوياتها في علاقتها مع نيجيريا، وأن تحت الحكومة النيجيرية على تغيير موقفها تجاه اللغة العربية.

وتؤكد الدراسة أخيراً أنها على كونها مسحاً سريعاً لتبين أثر الثقافة العربية في شعوب شمالي نيجيريا، تساعد إلى حد بعيد في اكتشاف آفاق جديدة للاستثمار فيها بالبحث والدراسة، إذ يشكل معظم – إن لم يكن كل – المحاور التي تمثل مظاهر تأثير الثقافة العربية في شعوب المنطقة المذكورة آفاق صالحة للبحث والتنقيب وأراض خصبة لدراسات أدق وأوسع من هذا المسح السريع. وما توفيقنا إلا بالله.

الهوامش والإحالات

- 1 Northern Nigeria Protectorate.
<http://en.wikipedia.org/wiki> Retrieved 1/2/2014
- 2 Ghaji Badawi, "Public Library Services and the Information Needs of Women in Northern Nigeria". *Samaru Journal of Information*. vol. 9 (2) 2009 www.ajol.info/index.phs/sjis/article/viewfile/63653
- 3 *Nigeria 2006 Census figures*.
<http://www.nigeriamasterweb.com/nigeria06censusfigs.html>
Retrieved 2/2/2014
- 4 حسن أحمد محمود. الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا. دار الفكر العربي. القاهرة. 2002م/1423هـ، ص 111.
- 5 نسبة غلى سيف بن يزن البطل الحميري المشهور الذي تدّعي هذه الأسرة الحاكمة الانتساب إليه.
- 6 H. R. Palmer, *The Bornu Sahara and Sudan*. Negro Universities Press, New York, 1970, p. 14.
- 7 شيخو أحمد سعيد غلادنتي. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. المكتبة الأفريقية. 1994. ص 27.
- 8 يراجع المرجع السابق لمزيد من التفصيل.
- 9 J. S. Trimingham. *Islam in West Africa*. Oxford University Press. London 1959. p. 83.
- 10 علي أبو بكر. الثقافة العربية في نيجيريا. الطبعة الأولى بيروت 1972م. ص 372.
- 11 يراجع: شريف عبد القادر وصاحباه. " أثر اللغة العربية في اللغات الرئيسية في شمالي نيجيريا". *مجلة العربية*. السنة الثالثة 3:2009. قرية اللغة العربية انغالا، نيجيريا ص 98-116. والمرجع السابق لمزيد من التفصيل حول هذه القضية.
- 12 ينظر المرجعان السابقان لمزيد من التفصيل حول هذه القضية.
- 13 Tijani El-Miskin, *The Arabic Alphabet in Borno*. A Study Commissioned by UNESCO. 1985. pp 13-15.
- 14 المرجع نفسه: 16-17 pp.